فليس الاضطرار أو الإكراه أو سلب الطاقة عاذراً للمضطرين والمكرَهين ومسلوبي الطاقة إلّا إذا كانت هذه الحالات دون فعلهم القاصد وإرادتهم.

لذلك نجد آيات الاضطرار تعبر عنه بصيغة المجهول كـ ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾[1] لا ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ فالاضطرار المباغت هو الموضوع للعذر، دون أي اضطرار وإن كان باختيار.

ذلك، و﴿نَفْسًا﴾ هنا هي عبارة أخرى عن «روحاً» فلأن الله هو الذي خلق الأرواح بوسعها، فهو الذي يعرف وسعها، خلاف ما ظن قوم من الملحدين الغفلة الجهال أن الله لا يعرف النفوس، فقد يكلفها فوق وسعها، وكما تقولوه في ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[2] أن الجواب لم يحصل عما سُئِل، امتناعاً منه لفقد العلم به، فـ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3] تبكيت وتقريع لم يقعا موقعهما، بل هو على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب، ولقد فصلنا البحث حول آية الروح، وأن فيها الإجابة عن كافة الأسؤلة حول الأرواح كلها، فراجع.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ إذ ما كانوا يستطيعون نزعه عنها وهو المستمر فيها نكال في الجنة، فقد «نزعناه» نزعاً لما كان يحدد الإيمان وعمل الصالحات، وهو في الجنة يكدر طيبة العيشة والعشرة مع الإخوان.

أجل ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾[4] وكما كانوا يتطلبونه هنا ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٧.
(٥) سورة الحشر، الآية: ١٠.

فقد يكون غِلُّ الصدور بما يخيّل إلى ذوات الصدور من تقصير لإخوان وهو قصور أم تقصير منا قاصر بحقهم فنطلب أن يزيل ذلك الغل وألّا يجعله في صدورنا، أو يكون غلاً بحق اعتداء بمثل حيث ظلمك أخ لك في الدين، فقد يرجح زوال ذلك الغل عن الصدور سماحاً عما حصل، ثم إذا لم يزل الغل في صدورنا فالله هو الذي يزيله عنها في الجنة تحقيقاً رفيقاً للتعايش السلمي في دار الكرامة والرحمة حتى لا تحول - كما في الأولى - زحمة.

أم إنه غلٌّ بحق لا يحق زواله لأنه بغض في الله، فالله قد يزيله في الآخرة حيث يزيل سببه بعقاب أم غفران بحق، فلأن غل المؤمن في صدر المؤمن عذاب، لذلك فليُنزع تخفيفاً خفيفاً عن صدور المؤمنين، ولكن بحق لا يزداده غلًّا بعد غله.

وقد تعني «نزعنا» إلى نزع في الأخرى نزعاً في الأولى كما في بعض الصالحين، وإذا لم ينزعه هنا فقد ينزعه هناك رحمة من الرحيم الرحمان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١].

وفالغلُّ هو العداء والضغن، لا يخلو عن لمم منه إلّا المخلَصون، ونزع الغل هو بطبيعة الحال قبل دخولهم الجنة وكما يُروى عن الرسول ﷺ قوله: «يحبس أهل الجنة بعد ما يجوزون الصراط حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلاماتهم في الدنيا ويدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعض غلّ»[٢].

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ١٣.

(٢) الدر المنثور ٤: ١٠١ - أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن بلغني أن رسول الله ﷺ قال: . . . وأخرجه مثله ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن قتادة قال حدثنا أبو المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدى لمنزله في الجنة من منزله كان في الدنيا.

ترى وإذا كان غل بحق فكيف يكون نزعه أيضاً حقاً وهو ضغط على صاحب الحق؟.

ذلك، لأن الله لا ينزع الغل المستحق إلّا بجزاء وفاق على المستحق عليه قبل الجنة أم بمعاملة تهاترية بين الإخوة المتغلغل بينهم الغل، ثم ينزع ذلك الغل نزعاً بعدلٍ ورحمة، فحين يُجازى المستحق عليه في غلٍّ أم تُجبر مادة الغل بسبب آخر فبقاؤه - إذاً - غلّ آخر دون مبرر، فنزعه - إذاً - رحمة بعد زحمة، ثم الغلُّ الخاطئ الذي لم يكن له أصل، إنه ينزع هناك رحمة للجانبين، إكراماً لهما قضية إيمانهما، فـ ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

فقد نزع الله ما في صدورهم من الغل - أياً كان من حق أو باطل - بإنسائهم إياه، وإحداث أبدال له تشغل أماكنه من قلوبهم، وتشفع مواقعه من صدورهم، فلا يحقد بعضهم بعضاً ولا يحسد على علوِّ المنزلة فيها والبلوغ إلى مشارف رتبها، والغلُّ هو كلُّ ضيق من حسد أو غبطة أو عداوة أماهيه مما يغل ويغلق مفاتح القلوب إلى أهل الجنة.

أجل، ولأنهم - على أية حال - بشر، يعيشون بشراً، وقد يثور بينهم في العشرة الحيوية غيظ يكظمونه، أو يغور غل يغالبونه فيغلبونه ولكن تبقى في صدورهم منه آثار وآصار، أم يبقى دون كظم كضيم أم غَلَب هضيم، ثم الله إكراماً لهم وإراحة إياهم في ساحة الجنة ينزعه عنهم وكما يُروى عن الرسول ﷺ: «الغل على أبواب الجنة كمَبارِك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين»[2]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ الحق المبين والشرع

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

(٢) القرطبي في تفسيره أحكام القرآن، وفي الدر المنثور ٣: ٨٥ - أخرج ابن جرير عن أبي نضرة قال: يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقتص لبعضهم من بعض حتى يدخلوا الجنة =

المتين، وهدانا لنزع هذا الغلّ من صدورنا، ثم لهذه الجنة ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ إلى ما اهتدينا ﴿لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ وقد هدانا حيث ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ جاء مجيئاً[(١)] بالحق، وجاءت بسبب الحق ومصاحبة الحق وغاية الحق ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إرثا عن أهل النار حيث تركوا أمكنتهم لنا، وارثاً تركه لنا بما قدمناه من صالحات.

فهناك توارث بين أهل الجنة والنار فـ «كلُّ أهل النار يرى منزله في الجنة يقول لو هدانا الله فيكون حسرة عليهم، وكلُّ أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول: لولا أن هدانا الله»[(٢)].

أجل و«نودوا أن صحوا فلا تسقموا، وانعموا فلا تبأسوا، وشبوا فلا تهرموا، واخلدوا فلا تموتوا»[(٣)].

= يدخلونها ولا يطلب أحد أحداً بقلامة ظفر ظلمها إياه، ويحبس أهل النار دون النار حتى يقتص لبعضهم من بعض فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحد أحداً بقلامة ظفر إياه.

(١) مجمع البيان عن عاصم بن حمزة عن علي عليه السلام أنه ذكر أهل الجنة فقال: يحيون ويدخلون فإذا أساس بيوتهم من جندل اللؤلؤ وسرر مرفوعة وأكواب موضوعة...
ولولا أن الله تعالى قدرها لهم لالتمعت أبصارهم لما يرون ويعانقون الأزواج ويقعدون على السرر ويقولون: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.
ونور الثقلين ٢: ٣١ في أصول الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: إذا كان يوم القيامة دعي بالنبي صلى الله عليه وآله وبأمير المؤمنين وبالأئمة من ولده عليهم السلام فينصبون للناس فإذا رأتهم شيعتهم قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. يعني هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفيه عن الاحتجاج للطبرسي عن النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير: معاشر الناس سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين وقولوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(٢) المصدر ٣: ٨٥ - أخرج النسائي وابن أبي الدنيا وابن جرير في ذكر الموت وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ... وفي المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: ما من أحد إلّا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما الكافر فيرث المؤمن منزله في النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

(٣) المصدر ٣: ٨٥ - أخرج جماعة عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله في الآية قال: نودوا...

ذلك، وفي رجعة أخرى إلى ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ نقول: إن الغل في صدور المؤمنين بعضهم على بعض ليس ليكون عداء لذوات المؤمنين، إنما هو غل - فيما هو حق - لأعمالهم الكليلة العليلة بالنسبة لبعضهم البعض، فحين تغل صدور لذوات الآخرين فحق أن ينزع ذلك الغل عن الصدور المغلّلة.

ثم الغل الصالح الذي يعني بغض مؤمن يستحق الغل لعمله، ذلك لا يفيد إلّا كمرتبة من مراتب النهي عن المنكر وهو ليس لينزع يوم الدنيا، ولكنه مع سائر الغل ينزع يوم الأخرى، تخليصاً لصاحب الغل عن غلّه، وتقليصاً لمورد الغل عن ذلك الغل بعذاب أم تكفير أمّا هو؟ من نزع لسبب الغل، ولكي يكونوا في الجنة إخواناً على سُرُرٍ متقابلين.

هذا ﴿وَقَالُواْ﴾ هؤلاء الأكارم بعد ما دخلوا الجنة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾: الدخول والخلود في الجنة، ولهذا النزع للغلّ من صدورنا، ولهذا الجري من تحتنا الأنهار، والجمع بينها لهذا المصير بذلك المسير حيث ﴿هَدَىٰنَا﴾ تعم هدى الأولى إلى الأخرى، فإن هدى الأولى هي التي تهدي إلى هُدى الأخرى الميراث العظيم ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ بسبب الحق ومصاحبين الحق وحاملين الحق ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وذلك الميراث يعني أنهم سكنوا مساكنهم فيها وزيادة هي مساكن الآخرين الذين حرموا الجنة، فإن الله خلق لكلّ واحد من المكلفين مكاناً في الجنة ومكاناً في النار، فكلٌّ من فقد مكانه من الجنة إلى النار يرثه أهل الجنة مكانه إلى مكانه نفسه.

ذلك ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ تنظر إلى قلة الطاقة البشرية في سبيل الهدى أمام النزعات الشيطانية التي تتغلب عليها لولا أن هدانا الله.

مسرح عظيم من حوار الجنة والنار في مناداة، وبينهما رجال الأعراف،

فلنعرف من هم أولاء الأكارم وما هو ذلك الحوار المستقبل وكأنه حاضر في المشهد بكلِّ مصارحه وملامحه؟

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾:

هنا مُناداة بين فريقي الجنة والنار وبعد ما وجد كلٌّ ما وعدهم الله بما يعدون، فقد يُنعم فريق الجنة بما وجده من الوعد، وجدنا حقاً ما وعدنا ربنا حقاً، حيث إن ﴿حَقّٗا﴾ ذو تعلقين اثنين، ثم يستجوبون فريق النار فلا مفلت لهم عن «نعم»[1]، ثم ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ من مذياع الحق بالحق وقد أصفق الفريقان أنه علي أمير المؤمنين عليه السلام [2] ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

(١) المصدر عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وقف على قليب بدر من المشركين فقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فقال له الناس: أليسوا أمواتاً؟ فقال: إنهم يسمعون كما تسمعون.

(٢) في ملحقات إحقاق الحق ٣: ٣٩٢ - ٣٩٤ - أورده من حفاظ القوم ونقلة آثارهم عدة ونحن نشير إلى من وقفنا عليه، فمنهم ابن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة (٩٥) روي عن أبي جعفر عليه السلام في ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾ [الأعراف: ٤٤] قال: هو علي عليه السلام ومثله الترمذي في مناقب مرتضوي (٦٠) عنه، والآلوسي في روح المعاني ٨: ١٠٧ عن ابن عباس مثله والشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودة (١٠١) روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بسنده عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي عليه السلام قال: أنا ذلك المؤذن، وروى الحاكم بسنده عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال علي عليه السلام: في كتاب الله أسماء لا يعرفها الناس، منها ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف: ٤٤] يقول: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي.
وروي في المناقب عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة عند انصرافه من النهروان وبلغه أن معاوية بن أبي سفيان يسبه ويقتل أصحابه فقام خطيباً - إلى أن قال -: وأنا المؤذن في الدنيا والآخرة قال الله عزوجل: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف: ٤٤] - يقول - ألا لعنة الله على القوم الظالمين - أنا ذلك المؤذن، وقال عزوجل: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ [التوبة: ٣] وأنا ذلك الآذان. =

المستحقين النار، لا المعفو عنهم المستحقون الجنة، والظالمون هنا هم ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

فعبارة ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هنا قاصدة للعموم الموصوف بالثلاث الآتية مهما كانوا من المسلمين.

وترى كيف المؤذن هناك علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم فوقه محتداً وصلوحاً؟ علّه لأن له صلى الله عليه وآله وسلم المقام الأوّل وهو فوق الأذان، فلثانية بإذنه عن إذن الله أن يكون هو المؤذن، وكما كان مؤذن هذه الرسالة القدسية على هامشه صلى الله عليه وآله وسلم وكما في خطبة له عليه السلام: أنا المؤذن في الدنيا والآخرة فكما أنه المؤذن يوم الدنيا أذاناً رسالياً بعد الأذان الرسولي، كذلك هو المؤذن في الأخرى بإذن منه صلى الله عليه وآله وسلم.

ولو كان المؤذن هناك هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه لجيء باسمه المبارك، دون مجرد الوصف ﴿مُؤَذِّنٌ﴾ غير المعلوم صاحبه إلّا بسناد لمحات من القرآن كآيات الولاية ولا سيما آية شاهد منه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً...﴾[1] فإنها شاهدة لكون الإمام عليه السلام هو الشخصية الثانية بعد الأولى الرسولية، فليكن مؤذناً هناك كما هو المؤذن عنه صلى الله عليه وآله وسلم هنا.

و﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ استمرارية في ذلك الصدِّ طول حياتهم الجهنمية بما يملِكون أو يملَّكون من قدرات وإمكانيات، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ بغياً عليها، ابتغاء

= وروي عن محمد بن الفضيل عن أحمد بن عمر الحلال عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: المؤذن أمير المؤمنين علي عليه السلام يؤذن أذاناً يسمع الخلائق والدليل على ذلك ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٣] قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا ذلك الأذان.
وفيه (١٤: ٣٣٥ - ٣٣٦) مستدركا عما ذكر، ومنهم الحسكاني في شواهد التنزيل (١: ٢٠٢) وابن حسنويه في درر بحر المناقب (٨٥).

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

أنها عوج فلا تُسلك، وابتغاء أنفسهم إياها مسلكاً عوجاً، فسبيل الله هو شرعته ونهجه وهم يبتغون عنها المتحاول ويطلبون منها الفسح والمخارج ويوهمون بالشبهات أنها معوجة غير قويمة، ومضطربة غير مستقيمة!.

ولأن القرآن هو أفضل سبل الله فبغيه عوجاً هو أعضل صدٍّ عن سبيل الله، فكما أن من بغيه عوجاً الخوض في آياته لنفضها، كذلك القول:

إنه لا يفهم وليس بمتناول الأفهام، فإنه عوج في كتاب الدعوة أن يكون قاصرة الدلالة على مرادات الله تعالى.

كما منه تفسيره بالآراء أن تحمل عليه الآراء السادرة عن الصادرة عن مصادر الوحي والتنزيل.

فكلُّ مواجهة للقرآن خلاف ما يرام منه في حقل الدعوة المستقيمة الخالدة هو بغيه عوجاً.

وهنا ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في حقل تلك اللعنة التي يدخلون بها النار، هم الذين يحملون هذه الأوصاف الثلاثة أم بعضها، ابتداءً من ﴿يَصُدُّونَ﴾ وانتهاء إلى ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ وكلٌّ من هذه دركات يستحق أصحاب دركات من العذاب حسبها ولا يظلمون نقيراً.

﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ فهم - إذاً - في ثالوث منحوس من عمل مركوس مدسوس: صداً عن سبيل الله - وبغياً وابتغاء لها عوجاً - وكفراً بالآخرة.

وما أظلمه في ثالوثه حيث يجمع كلّ دركات الظلم والتضليل، فهم - إذاً - حملة مشاعل الضلالة، ورؤوس زوايا المتاهة والغواية.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾:

آيات أربع تُبيّن موقف الأعراف ورجاله، فلنتعرف إلى رجال الأعراف

وموقفهم المتميز على ضوء آيات الأعراف، تقريراً لمسيرهم، ولمصير مختلف الروايات في مثلثة التخالفات.

هنا نتلمح صُراحاً من مقاطع في هذه الآيات أن رجال الأعراف هم أعرف العرفاء بالله وأعبد العابدين لله، حيث يمثّلون أمر الله في فاصل الأعراف بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، تقريراً لمصير كلٍّ بمسيره، إذاعة من قبل الله في ذلك الموقف المجيد.

فـ ١ - ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ تعريف أول بأصحاب الأعراف، فإنها أعراف متعالية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، لا يحق أن يكون عليها إلّا الحاكمون عليهما المتكلمون بفصل القضاء فيهما من قبل الله، فكيف يكونون هم الأدنون المرجون لأمر الله؟

٢ - ثم ﴿رِجَالٌ﴾ لا تعني رجولة الجنس - فقط - بل هي مجمع كافة الرجولات في كافة حقول الفضائل والفواضل، ولو كانوا هم الأدنون المرجون لأمر الله، فالأكثرية المطلقة منهم نساء بطبيعة الحال الأنوثة، فكيف يُعبر عن هذه المجموعة التي أكثرها نساءٌ بـ﴿رِجَالٌ﴾ دون «ناس» أما أشبه؟!.

٣ - ثم ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ تحلق معرفتهم بكلِّ أهل الحشر، جماعياً كأصحاب الجنة وأصحاب النار، وشخصياً هو معرفة كلّ فرد فرد من الفريقين بدرجاتهم أم دركاتهم، وليست هذه المعرفة القمة الفائقة إلّا لأعرف العارفين بالله وأقرب المقربين إلى الله.

ففي حين أن الرسول ﷺ نفسه ما كان ليعرف المنافقين بسيماهم: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾[1] كما و﴿عَفَا

(١) سورة محمد، الآية: ٣٠.